

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[17] والجهل، حيث تقوم هَذِهِ الصفات بصد حقائق القرآن عن أفكارهم وعقولهم وَلَا تسمح لهم بدرك الحقائق الواضحة مِثْل التوحيد والمعاد وصدق الرسول في دعوته وغير ذلك. وفيما يخص كلمة "مستور" هل أنّها صفة للحجاب، أو لشخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو للحقائق القرآنية؟ فإنّ البحث عن ذلك سنشير إليه في البحوث. وسنتناول في البحوث - أيضاً - كيفية نسبة الحجاب للخالق جلّ وعلا، أمّا الآية التي بعدها فتقول: (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) أي أنّنا غطّينا قلوبهم باستار لكي لا يفهموا معناه، وجعلنا في آذانهم ثقلاً، لذلك فإنّهم (إذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُوراً). حقّاً ما أعجب الهروب من الحق؛ الهرب من السعادة والنجاة، من النصر والفهم! إنّ شبه هذا المعنى نجده - أيضاً - في الآية (50 - 51) من سورة المدثر: (كأنّهم حممٌ مستنفرة فرّّت من قسورة) أي كالحمير الهاربة من الأسد. ثمّ يضيف الله تبارك وتعالى مرّة أخرى: (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك) أي أنّ الله تعالى يعلم الغرض من استماعهم لكلامك وحضورهم في مجلسك و(إذا هم نجوى) يتشاورون ويتناجون (إذا يقول الظالمون إن تتبعون إلّا رجلاً مسحوراً). إذ - في الحقيقة - إنّهم لا يأتون إليك من أجل سماع كلامك بقلوبهم وأرواحهم، بل هدفهم هو التخريب، وتَصيّد الأخطاء (بزعمهم ودعواهم) حتى يحرفوا المؤمنين عن طريقهم إذا استطاعوا. وعادةً يكون مِثْل هؤلاء الأشخاص ومِثْل نواياهم، قلوبهم موصدة، وفي آذانهم وقراً، لذلك لا يجالسون رجال الحق إلّا لـ تحقيق أهداف شيطانية. الآية الأخيرة خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالرغم من أنّ عبارة الآية قصيرة، إلّا أنّها كانت قاضية بالنسبة لهذه المجموعة حيث قالت: (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلاً ولا يستطيعون سبيلاً). والآية لا تعني أنّ الطريق غير واضح والحق